الفصل
الثانى

النزاع المسلح
فى العصور القديمة

الفصل الثانى
النزاع المسلح فى العصور القديمة

يظهر استطلاع تاريخ الشعوب القديمة، أن الحروب كانت تثور لأتفه الأسباب بينها[1] . ويرجع ذلك إلى قلة العلاقات بين هذه الشعوب، وتباين قيمها الثقافية وطرق التفكير فيها، وعدم وجود علاقات إقتصادية أو تجارية قوية بينها على وجه الخصوص.

ومع ذلك، فمع التقدم فى الحضارة الإنسانية، كان من الصعب أن تترك الحروب بدون أى تنظيم. ويبدو أن حضارة الهند كانت سباقة فى هذا المضمار، إذ منعت الحاكم من أن يشن الحرب لمجرد التوسع الاقليمى، وألزمته بأن يسبق شن الحرب بمداولات ومشاورات، بحيث لا يقررها إلا لأسباب خطيرة.

وفى الصين أصبحت الحرب نظاما قانونيا Legal Institution فلا يمكن أن تقوم إلا بين الدولة والوحدات المعتمدة عليها، ولا بين الأسرة الصينية بأقاليمها وقبائلها المختلفة.

وقد ميز العهد القديم بين الحروب الإرادية Voluntary wars التى تشن بقصد التوسع الإقليمى، والحروب الإلزامية Obligatory wars والتى تشن ضد عدو يهاجم إسرائيل، فحرم الأولى وأجاز الثانية.

أما فى الحضارة اليونانية وبعد ظهور دولة المدينة فى بلاد اليونان، وكانت القوة والحرب هى العلاقة الطبيعية لدول الإغريق بغيرهم، واعتبرت الحضارة اليونانية أن الأجنبى بصفة دائمة عدو للأغريقى، ولذا قامت بين الأغريق وغيرهم

(١) I. Brounlie, International law and the use of force by states oxford, 1968, B. 3.

حروب كثيرة لعل من أهمها الحروب التى دارت بين اليونان وقرطاجنة والحروب التى دارت بين اليونان والأمبراطورية الفارسية. ولعل هذه العلاقة الحربية بين مدن الأغريق وغيرهم هى التى تسببت فى عدم إيجاد مجموعة من القواعد القانونية التى يمكن أن تنظم حالات الحرب فى العلاقات الدولية على خلاف الأمر بالنسبة للعلاقات الداخلية بين دول الإغريق «اليونان» فلقد أورثتنا هذه العلاقات مجموعة من القواعد التى تنظم علاقاتهم بعضهم البعض، كما قد بلغت مبلغا عظيما فى الفلسفة والعلوم وفى الفنون والأداب [1].

ومع ذلك فلقد وجد من المفكرين من يدين الحرب، كما أن المدن اليونانية كانت تبدى أسبابا لقيامها بالحرب، أغلبها يتصل بالدفاع، وكان عدم ابداء هذه الأسباب، يسبب التزام المدينة بالتعويض. ولقد كان للتقارب فى الثقافة المدنية بين المدن اليونانية أثره فى قيام التحكيم بينها، وفى معرفة العديد من معاهدات عدم الاعتداء التى أبرمت بينها.

بل وجدنا فى سبيل الحد من الحروب بعض المحاولات التنظيمية مثل تكوين هيئة دينية عرفت باسم «الأمفيكيتون» وهى عصبة تتكون من مندوبين عن مدن الأغريق يقسم أعضاؤها على أن لا يعملوا على تدمير أية مدينة عضو فى تلك العصبة، أو يقطعوا عنها المياه سواء فى الحرب أو فى السلم، وأن يقاوموا كل من يأتى تلك الفعلة ويدمروا مدينته. كما وجد ما يسمى بحلف «دلفى» وكان بمثابة عصبة تفرض عقوبات ذات طابع دينى، وكانت أعمال الحلف تتشابه إلى حد ما مع الهيئة السابقة «الأمفيكتيون» مما يجعلنا نميل إلى أنهما هيئة واحدة[2].

---

(١) يراجع ذلك د. حسين الشيخ، تاريخ حضارة اليونان والرومان، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية ١٩٨٧م، ص١١٣.

(٢) يراجع ذلك دراسات قومية وسياسية د. طه بدوى، أ.د/ طلعت الغنيمى، ص ٢٧٤، د. راشد البراوى، الطريق إلى السلام، ص ١٣، ١٤.

وكان من الطبيعى أن تصبغ الحضارة الرومانية حروبها بالفكر اليونانى الذى سيطر عليها، وتميزت به عن المدنيات الأخرى. لذلك نجد أن الفقهاء قد أجازوا فقط الحروب المشروعة Just ad bellum وهى تلك الحروب التى تبدأ وفقًا للقانون الوضعى، وبموافقة النقباء Fetialcs وكانت موافقة هؤلاء لا تنصب على عدالة أو عدم عدالة الحرب، وإنما على اتباع الشكليات القانونية كالاعلان.

وعلى ذلك فالحروب الذى شهدها العصر الرومانى والتى كان يراد بها الاستعباد والفتح وبسط السيادة على العالم، كان يسبقها إجراء دينى شكلى بعيد عن فكرة العدالة هو إقامة الطقوس[1].

ولقد نجحت روما من خلال الحروب اليونانية التى دارت بين روما وقرطاجنة والحروب المقدونية التى دارت بين روما ومقدونيا، فى أن تغزو بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط وتقوم ببسط وسيطرتها على هذه البلاد، ووضع نظام صارم لم تمكن احدى هذه الدويلات من الخروج عليه، وأصبحت روما فى ذاك الوقت سيدة العالم بلا منافس، وتحقق ما سمى بـ «السلم الرومانى» الذى دام زهاء قرنين من الزمان.

لكن السلم الرومانى لم يكن بالنوع الذى تبتغيه الإنسانية، إذ لم يكن ثمره إدراك سليم من جانب الشعوب لأهميته وضرورته، ولكن فرضته روما بسلطانها، وبذلك يمكن القول أن السلام الرومانى كان سلامًا دعامته القوة وركيزته العسكرية[2].

وقد عالج فليسوف الرومان شيشرون قضية الحروب المشروعة، ورأى أنها لا تكون كذلك إلا إذا سبقها طلب رسمى للترضية، أو إذا سبقها انذار رسمى. ومع مثل هذه المعالجات للحرب المشروعة فى العهد الرومانى إلا أننا نستطيع القول

(١) يراجع فى ذلك Luis delbez: la notion de guerre. eassi, d' analyse dogmatique, paris, 1953. P63.

(٢) د. طه بدوى، د./ الغنيمى، دراسات سياسية وقومية ص ٢٧٥، د. راشد البراوى - الطريق إلى السلام ص ٥١.

بأن القواعد القانونية الدولية كانت متخلفة إلى حد بعيد . ولعل ذلك يرجع إلى أن علاقات الرومان بغيرهم كانت لا تلائمها علاقات دولية سلمية ؛ لأن روما كانت تنظر إلى الدولة الأخرى نظرة خاصة هى نظرة الرئيس إلى المرؤوس . حتى إن النظام الرومانى قسم الشعوب إلى :

١ - الشعب الرومانى وكان له الصدارة .

٢ - الشعوب الصديقة لروما وهى لا تعد مستقلة إزاء روما .

٣ - الشعوب الحليفة لروما وهى المعاهدة والمدن الحرة .

٤ - الشعوب الخاضعة وهى التى تحيا فى ظل الحكم الرومانى .

٥ الممالك التى قامت مستقله سابقا وتوارث عرشها الأباطرة الرومانيون[1] .

ولقد كان لمحاولات الفقه الرومانى لخلق نظرية أخلاقية للحرب ، تأثيرها على رجال القانون الكنسى الذين أخذوا مصادر قانونهم من القانون الرومانى ومن تعاليم المسيحية .

والخلاصة أن إستخدم القوة فى العصور القديمة كان مشروعا ، وأن الحرب فيها كانت مباحة ، بل كانت تعد اختبارا قويا لمدى سيادة الدولة وتقدمها على الدول الأخرى .

❁ ❁ ❁

(١) يراجع فى ذلك احكام القانون الدولى فى الشريعة الإسلامية ، حامد سلطان ، ص ١٠١ .